كلمة التحرير

فِقْهُ الأَوْلَوِيَّاتِ البَحْثِيَّة

هيئة التحرير

أَوْلَوِيَّةُ الأَوْلَوِيَّاتِ البَحْثِيَّة

أصبح من الشائع أن يُقصد بالبحث العلمي ما يُنشر في دوريات البحث العلمي المتخصصة، من تقارير الباحثين وفرق البحث في مراكز البحوث في المستويات المحلية والإقليمية والدولية، إضافةً إلى بحوث أساتذةِ الجامعات، وطلبة الدراسات العليا في أطروحاتهم الجامعية. ومع ذلك فإنَّ معنى البحث يتعدّى هذا التحديد ليشمل كلَّ جهدٍ منظمٍ ومقصودٍ لتحقيق هدفٍ محدّد. فقد تسمع من يقول: بحثتُ أمس في (مصدر...) عن (موضوع...) فوجدت (نتيجةُ البحث...).

فمَنْ الذي يتَّخذُ القرارَ بإجراء بحث معين دون غيره؟ وكيف يتمُّ ذلك؟ وعلى أيِّ أساس يتمُّ تمويل البحث؟ وما الشروط التي على البحث أن يتَّصف بها حتى يقبل للنشر؟

مثل هذه الأسئلة تُبْرِزُ بقوة مسألةً تختصُّ بتحديد أوْلَوِيَّات البحث، ويصبح تحديدُ هذه الأولويات أولويةً في حدِّ ذاتها. ويقودُ النظر في أولوية الأولويات إلى تحديد الأطراف ذات الصلة بمسيرة البحث، وهي تأتي في تقديرنا في ستة مستويات هي: الباحث، والتخصّص العلمي، والمؤسسة، والمجتمع، والأمة، والبشرية.

تبدأ هذه المستويات بالباحث الفرد، أو بمجموعة الباحثين المشتركين في فريق البحث، والباحثُ أو الباحثون ينتمون في العادة إلى تخصّصٍ معيَّنٍ ترسم حدودَه جماعةٌ علميةٌ تتوزَّع على عدد من المستويات، منها العلماء الذين يوافقون على خطة البحث، وهؤلاء الذين يشرفون على تنفيذه، وأولئك الذين يوافقون على قبوله أو نشره. ومع أنَّ الجماعةَ العلميةَ تكون عادة عابرةً للحدود السياسية والقومية، فإنَّ معظم البحوث يتم اختيارها والتخطيط لها وتنفيذها وتمويلها داخل مؤسسات المجتمع المتخصصة؛ (في

جامعة، أو وزارة، أو مركز بحث...) من أجل خدمة المجتمع، ومعالجة قضاياه، وحلِّ مشكلاته، وتحقيق أهدافه في التقدم والتنمية الوطنية. والمجتمع، أو الدولة، أو الوطن، يتحدد ضمن حدود سياسية مرسومة، ومع ذلك فإنَّ بعض المجتمعات ترتبط فيما بينها بروابط جغرافية أو لغوية أو دينية، تتجاوز الحدود الوطنية. فالعالَم المعاصر، كما هو الشأن في عهود تاريخية سابقة، شهد كيانات إقليمية أو فكرية، يضمُّ كلٌّ منها عدداً من الدول أو الأوطان، وبعض البحوث التي تُنفَّذُ في الكيان الإقليمي أو الفكري يمتدُّ هدفُها إلى مصالحَ مشتركةٍ لمجموع مكونات الكيان. وفي نهاية المطاف لا نعدم أن نجد بحوثاً تُسهم في تطوير الفكرِ البشريِّ عامةً، وفي تحقيق مصالح للبشرية كلِّها.

والبحثُ العلميُّ المعتبر في عالم اليوم هو البحث الذي يتمكن فيه الباحث من الإحاطة بما هو معروف من حالة المعرفة في موضوع البحث، وهي الحالة التي صنعَتْها الجماعةُ العلميةُ المختصَّةُ بذلك الموضوع، ثم التأثير في هذه الحالة بإضافة الجديد المفيد الذي تعترف الجماعةُ العلميةُ بجِدَّتِه وفائدتِه. فإذا تمكَّن الباحثُ من الأمرين معاً: الإحاطة بحالة المعرفة في موضوع البحث، وإضافة علمٍ جديدٍ إليه، فإنَّه سيكون مبدعاً. ولن يُبدع الباحثُ في هذه المهمة إلا إذا كان واثقاً من قدرته على الإبداع، متمرداً على الظروف التي تحول دون الإبداع، مِنْ مِثْل عُقَد الشعور بالعجز والنقص والدُّونيَّة، عند التفكير بمستوى المبدعين الآخرين من السابقين من أمته، والمبدعين المعاصرين في الأمم الأخرى.

ومما يعينُ الباحثَ في تحقيق الإبداع المنشود أن يرسم لنفسه موقعاً في حركة الفكر والعلم، فيُسهم في صنع الأحداث، ويكتب سطراً في التاريخ، يوَقِّعُه باسمه ويُعرِّفُ بهُوِيَّتِه الشخصية والقومية والدينية. وهذا الإبداعُ يحتاج إلى ملكةٍ نقديةٍ وقدرةٍ على التخيُّل تمكِّنُ الباحثَ من النظر في حالة المعرفة التي تصف الواقع، واختراق هذه الحالة والكشف عن ثغرات ومشكلات، ثم تخيل صورة بديلة تسد الثغرات وتحل المشكلات وتجيب عن الأسئلة التي تطرحها هذه الحالة الراهنة، وليس من الإبداع في شيءٍ أن يعيدَ الباحثُ رسمَ الحالة القائمة، ويُنتجَ ما سبق إنتاجه.

الإبداع المشار إليه في الفقرة السابقة هو نوعٌ من التفاعل بين طموح الباحث وحالة العلم، وقد يكون البحثُ العلميُّ الذي قام به الباحث يختص بمسألةٍ نظريةٍ لا تظهر قيمتُها العملية للوهلة الأولى، وقد لا يَنْبَغِي عليها تطبيقٌ عمليٌّ عند اكتشافها وصياغتها ونشرها، ثم يأتي زمانٌ لاحقٌ تتعزّز قيمة ذلك الاكتشاف النظري بتطبيقات عملية عظيمة الشأن. وقد شهد تاريخُ العلمِ، والتقدمُ العلميُّ أمثلةً كثيرة على ذلك. وهذا ما كان يُسوِّغ شيوع عبارة "العلم من أجل العلم"، وهو نفسُه ما أصبح يسوغ عبارة "العلم من أجل المجتمع"؛ لأنَّ أيَّ عِلْمٍ سيكون له فائدة عملية للمجتمع، ولو بعد حين.

ونظراً لأنَّ موضوع أوْلوِيَّات البحث العلمي، يُعدّ في موقع الأوْلَوِيَّة في أيَّة جهودٍ أو توجُّهاتٍ أو برامجَ تستهدف النهوض والتنمية والتقدم، فإنَّه يُتوقَّع من الباحث –وهو يختار موضوع بحثه، ويضع خطَّتَه– أن ينظر في موقع بحثه في سُلَّم الأوْلوِيَّات، التي قد يكون وضَعَها هو في برنامج حياته الشخصية، وأولويات تخصّصه العلمي الذي ينتسب إليه، وأولويات المؤسسة التي يسعى لتنميتها، والمجتمع الذي يريد له التقدم، والأمة التي يمكنه أن يُسهم في نهوضها الحضاري، وما تقدمه الأمة عن طريق باحثيها للبشرية كلِّها من خدمات تعزِّزُ حضورها في ساحة العالم، وتُغني الحضارة البشرية وتوجِّهُها إلى خير الإنسان. فكما أنَّ هذه المستويات الستة هي دوائر انتماء الباحث، فإنَّها تُعدُّ في الوقت نفسه دوائر للأولويات البحثية.

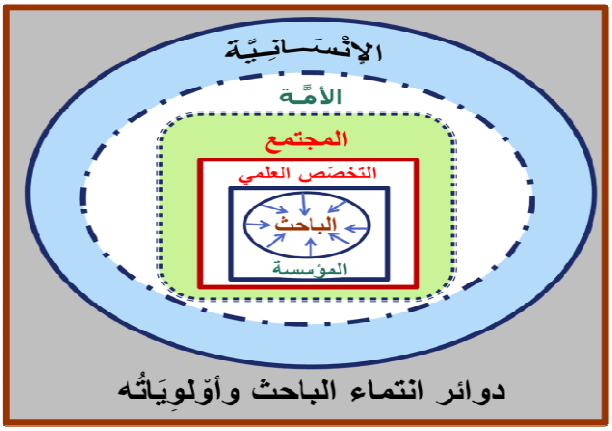

دوائر انتماء الباحث وأوْلوِيَاتُه

فالباحث إنسانٌ له حياتُه الخاصة والعائلية التي تحدد أحياناً ميولَه واهتماماتِه وتفضيلاتِه الشخصية، ثم إنَّ له حياتَه المهنية وعلاقتَه بالمؤسسة التي يعمل فيها، وقد يتأثر الباحث بأولويات المؤسسة التي تُحدِّد ما يُدعم

من البحوث وما لا يدعم، وقد تتحدّد أولوياتها البحثية بمدى تعاونِها مع مؤسسات أخرى، أو تنافسِها معها. والباحث والمؤسسة يتحدّدان بالحالة المعرفية للتخصّص العلمي، وأسئلة ذلك التخصص ومشكلاته التي تبحث عن حلول، سواءً أكان ذلك في البنية النظرية للعلم أم في تطبيقاته العملية.

ثم إنّ لكل مجتمع حالتَه التنموية، ومشكلاتِه التي تختص ببنيته الداخلية أو في علاقاته الخارجية. وقد أصبحت المجتمعات البشرية تتنافس في مجالات السبق العلمي، وبراءات الاختراع، والإنتاج، والتسويق، وتوظيف المعرفة في التقدم الاجتماعي والاقتصادي، فالمجتمع المعاصر هو مجتمعُ المعرفة، واقتصادُه هو اقتصادُ المعرفة. وكلُّ ذلك يؤثر على بناء المؤسسات وتمويلها، وتجنيد الباحثين واختيار موضوعات البحث.

وللمجتمع خصائصه الإقليمية والقومية والدينية، فالباحثُ العربيُّ مثلاً يهمه الارتقاء بأمته العربية ونهوضها، ويعتزّ بأنَّه أنجز بحثاً يتَّصل بالواقع العملي للأمة ومشكلاتها ومستقبلها، أو يُقدِّم خدمةً معنويةً لأمته عندما يتم التنويهُ بذلك البحث على المستوى العالمي. وكذلك يفعل الباحثُ المسلم الذي يحرص على انتمائه إلى أمّته الإسلامية، ويختار من المشروعات البحثية ما يُسهم في رفع شأن الأمة، ويخدم جهودها في النهوض الحضاري.

ومع أنَّ الباحثَ العربيَّ المسلم، في كثير من الأحيان، يَختار بحثَه عن رضاً وفق تفضيلات شخصية، أو يُكره على قبول ما يُختار له، تحت ظروف قاهرة، فإنَّ من حقِّ هذا الباحث، العربي المسلم، وواجبه كذلك، أن يعتزَّ بانتمائه لمؤسسته الجامعية، ولمجتمعه الذي أسَّس هذه الجامعة، ولأمته العربية الإسلامية، ومن ثم يمارس البحث بصورةٍ تقدم خدمةً حقيقيةً لمؤسسته ومجتمعه وأمته. وفي حال المؤسسات الجامعية فإنَّ البحث العلمي يعدّ واحداً من مهامِّ الجامعات في سعيها للإصلاح والتنمية

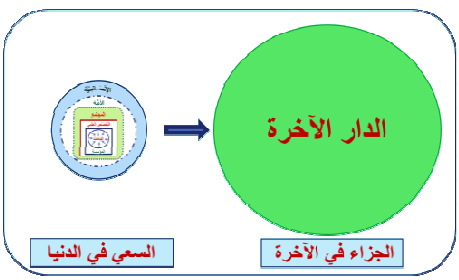

والتطوير في المجتمع، ومن المتوقع أن تأتي الممارسات البحثية لأساتذة الجامعات وطلبة الدراسات الجامعية العليا، في مكانها المناسب من سلَّم الأولويات المشار إليه آنفاً. ومن المتوقع كذلك أن يأتي سلَّمُ الأولويات معبِّراً عن دوائر الانتماء المشار إليها كذلك. ودوائر الانتماء هذه دوائر متداخلة لا تناقض بينها، وميزةُ التفكيرِ البشريِّ أنَّه يتَّسع ليستوعب هذه الدوائر، ويتجاوزها حتى يتَّصل الفكر بأهداف الوجود الإنساني على الأرض، وتحقيق الاستخلاف البشري فيها، وعمران هذه الدنيا، تطلعاً إلى جزائه في نعيم الآخرة.

ثمة انطباعات، مشفوعة ببعض الدراسات والإحصائيات، تتحدث بقلق ومرارة، عن واقع المجتمعات العربية والإسلامية، فيما يختص بأولويات البحث العلمي، وحجمه، وموضوعاته، ونسبة الإنفاق عليه، وتحديد أولوياته، وخططه القصيرة والمتوسطة والطويلة المدى، وغير ذلك مما تكشف عنه التقارير المحلية والإقليمية والدولية. وبدلاً من أن نغرق في حالة القلق والمرارة في الحديث عن هذه المسائل، نفضّل أن نختار طريقةً في الحديث ربما تكون أعزَّ نفعاً وأكثرَ فائدة. وهي ما نأمُل أن يتحقّق من تأصيل مفهوم الأولويات في الرؤية الإسلامية، وتطوير فقه الأولويات البحثية، ورصد مشكلات الخلل المنهجي في ممارسة الأعمال العلمية في غياب هذا الفقه، ووضع دليل للأولويات البحثية في جامعات العالم الإسلامي، ضمن ضوابطَ محددةٍ.

والهدف من هذه الإشارات أن تنبِّه إلى حاجة موضوع أوليات البحث إلى عنايةٍ مكثَّفةٍ، تتولاّها المستويات المختلفة في الإدارة الجامعية من أجل التخطيط المناسب الذي يمكِّن أساتذة الجامعة وطلبة الدراسات العليا من ممارسة البحث العلمي في ضوء استراتيجية محددة. ونأمل أن يحرك هذا التنبيه المعنيين في إدارات البحوث في جامعات العالم الإسلامي لتنظيم ورش عمل، وحلقات دراسية، ودورات تدريبية، للتوعية بموضوع الأولويات وتبادل الخبرة في وضع الأولويات البحثية، والنظر فيما يلزم من إجراءات تقدِّم لأساتذة الجامعات وطلبة الدراسات العليا ما يُعينهم على اختيار البحوث وتوجيهها لخدمة تطوير العلوم وتوظيفها في جهود النهوض الحضاري للأمة الإسلامية وحضورها العلمي في ساحة العالم.

قاعدة فقه الأولويات البحثية

قلنا إنَّ تحديد الأولويات البحثية أولويةٌ في إدارة البحث العلمي وتنظيمه، ونزيد على ذلك بالقول: إنّ الأولويات قاعدةٌ في سائر الأعمال؛ قاعدةٌ تقوم على معرفة الأنسب والأجدر والأفضل والأرجح من الأعمال، بناءً على العلم بمراتبها، وبالحاجة إليها في الواقع العملي، نظراً لما يتحقق بها من المصالح ويُدفع بها من الأضرار. ولذلك أصبح مصطلح فقه الأولويات مألوفاً في الكتابات الإسلامية المعاصرة، ويعني هذا الفقه: الفهم الذي يتحقّق به وضعُ الشيء في مرتبته بالعدل من الأحكام والقيم والأعمال، بناءً على معاييرَ صحيحةٍ، يهدي إليها النقل الصحيح، والعقل الصريح، والطبائع الفطرية، والوقائع الموضوعية.

فالأولوية مسألةُ مفاضلةٍ بين الأشياء والأعمال، وترتيبٍ لها وفق معايير معينة، بصورة تجعل القيام بعمل معيَّنٍ مقدّمٌ على القيام بعملٍ غيره، فالأوَّل له الأسبقية والأفضلية، فهو أوْلَى من الآخر، وأحقُّ بالاهتمام، ومن ثَمَّ فلَهُ الأولوية. ولو كانت المفاضلة بين أكثر من عملين لاحتجنا أحياناً إلى ترتيب هذه الأعمال، فيقع واحد منها في المرتبة الأولى لأنَّه الأهمُّ أو الأكثر أهمية، ويليه المُهمُّ الذي يأتي في الدرجة الثانية من الأهمية، ثم ما بعده في الأهمية وهكذا. وقد تكون الأولوية وفق معيار الزمن؛ فالأولوية هي لما يلزم أن يُنفَّذ أولاً قبل غيره؛ لأنَّه أمرٌ عاجلٌ لا يجوز تأخيرُه، ثم ينفَّذ الثاني في الأولوية الزمنية، ثم الثالث، وهكذا. وقد يلزم الأخذُ بالحسبان صفتي الأهمية والاستعجال معاً، فيلزم التمييزُ بين المهم جداً والمهم، والعاجل جداً والعاجل... إلخ. وعندما لا يمكن للشخص القيام بكل ذلك في الوقت نفسه، يكون عليه أن يتعاملَ مع الأولويات بطريقة ما. والمخطط الآتي ربما يكون مفيداً في تحديد طريقة التعامل مع مثل هذه الحالات.

كيفية التعامل مع الأمور وفق درجة الأهمية والاستعجال

ويمكن مقارنة ترتيب أولويات تنفيذ البحوث المتفاوتة بمثلٍ حِسِّيّ، يستخدم عادةً في برامج التدريب في التنمية البشرية لإعطاء الأولوية في الاهتمام بالمسائل الكبيرة في الحياة ثم الأدنى فالأدنى.

فإمكانية الباحث المحدودة في القدرة والوقت المتاح تشبه إناءً بسعة محدودة، والبحوث المختلفة في درجة أهميتها وراهنيتها تشبه كرات بأربع درجات مختلفة: كبيرة، ومتوسطة، وصغيرة، وصغيرة جداً (مثل حبّات الرمل). ونفترض أن تكون الكرات الكبيرة هي الأكثر أهمية واستعجالاً، ويأتي بعدها في الأهمية الكرات المتوسطة، ثم الصغيرة، ثم الرمل. فإذا بدأ الباحث بملء إنائه بالرمل فلن يتَّسع الإناء بعد ذلك لأيٍّ من الكرات الأخرى. وإذا بدأ بالكرات الصغيرة، فيمكنه أن يضيف شيئاً من الرمل، لكنه لا يستطيع أن يضيف الكرات المتوسطة والكبيرة. وكذلك إذا بدأ بالكرات المتوسطة فإنَّه يستطيع إضافة ما هو أقلُّ أهمية (أصغر حجماً)، لكنَّه لا يستطيع إضافة الكرات الكبيرة. بينما لو بدأ

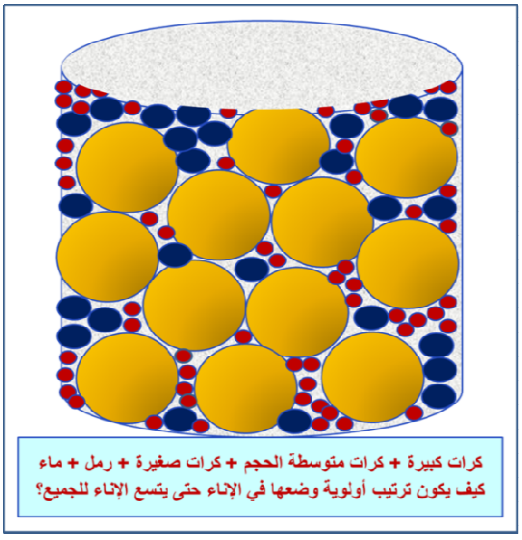
كرات كبيرة + كرات متوسطة الحجم + كرات صغيرة + رمل + ماء
كيف يكون ترتيب أولوية وضعها في الإناء حتى يتسع الإناء للجميع؟

بالكرات الكبيرة فإنَّه يستطيع بعد ذلك إضافة الكرات المتوسطة ثم الصغيرة ثم الرمل. وسيبقى لديه متَّسعٌ لإضافة بعض الماء إن لزم ذلك.

ومسألة الأولويات تعد من البديهيات العقلية التي يشترك فيه أكثر الناس، فالفطرة السليمة والعقل الصريح والواقع الموضوعي هي محددات مهمة في توجيه أكثر الناس إلى التفكير بطريقة متقاربة، فيتفقون على أنَّ عملاً ما يكون نافعاً أكثرَ من غيره، أو أنَّه يلزم أن يُبدأ به قبل غيره، نظراً للحاجة الملحة إليه في هذا الوقت، قبل فوات أوَانِه. لكنَّ ذلك لا يعني أنَّ عمليةَ ترتيب الأولويات يسيرة، إلى درجة يسهل اتفاق الناس عليها في جميع الحالات والمواقف والموضوعات، ذلك أنَّ هذه العملية تتضمن تقدير أمور، وتبنّي مواقف، واتخاذ قرارات، من أجل تحقيق مصالح ودرء مفاسد، ومن المتوقّع أن يختلفَ الناسُ في تقدير الأمور نتيجة اختلافهم في معرفة هذه الأمور ومقدماتها ونتائجها، وخبرتهم بموضوعاتها. كما يختلف ترتيب الأولويات من مجال معرفي إلى آخر، فالذي يحدد أولويات البحث العلمي مثلاً يختلف من تخصص إلى آخر، فمحددات العمل الإعلامي مثلاً غيرها في العمل الإداري، أو الإنتاج الزراعي أو الصناعي...

وقد تُبنى الأولويات في المجتمع بطريقة عادية، نتيجة الثقافة السائدة، والأعراف والعادات، كما قد تتغير بطريقة مقصودة تحت ضغط ظروف طارئة، أو بتأثير التوجيه الإعلامي المركَّز لترتيب أولوياتٍ استهلاكية، أو اهتمامات سياسية.

ومع أنَّ مصطلحَ الأولويات مصطلحٌ حديث، فإنَّ معناه كان حاضراً بصورةٍ كثيفةٍ في القرآن الكريم والسنة النبوية والتراث الإسلامي. فقد ورد لفظ "أَوْلَى" في القرآن الكريم بالدلالة التي نتحدث عنها في ترتيب الأولويات، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ (آل عمران: ٦٨) أي إنَّ أحقَّ الناس بمتابعة إبراهيم عليه السلام وأقربهم منه هم الذين اتبعوه في زمانه، والنبيُّ ﷺ، والمؤمنون برسالة هذا النبي الخاتم. و"أَوْلَى" اسم تفضيل أي أشد ولياً أي قرباً، مشتق من وَلِيَ إذا صار ولياً، وعُدِّي

بالباء لتضمنه معنى الاتصال أي أخص الناس بإبراهيم وأقربهم منه. ومن المفسّرين من جعل "أولى" هنا بمعنى أجدر ... أي بدين إبراهيم."[١]

وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾ (مريم: ٦٩-٧٠). "والمعنى: لنميِّزن من كلِّ فرقةٍ تجمعها محلة خاصة من دين الضلال من هو من تلك الشيعة أشد عصياناً لله وتجبراً عليه، ... وأصل التركيب: أيهم هو أشدُّ عتيّاً على الرحمن. ... ولما كان هذا النزع والتمييز مجملاً، فقد يزعم كل فريق أنَّ غيرَه أشدُّ عصياناً، أعْلَمَ اللهُ تعالى أنَّه يعلم من هو أَوْلَى منهم بمقدار صلي النار، فإنَّها دركات متفاوتة."[٢]

وكذلك قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا﴾ (الأحزاب: ٦)، دليلٌ على مثل معنى الحديث الصحيح: "أنا أوْلَى بكل مؤمن من نفسه، فمن ترك مالاً فلورثته، ومن ترك كَلًّا أو ضياعاً فعليَّ" [الكَلُّ: العيال] حيث جعله اللّه أولى بهم من أنفسهم. ومعنى ذلك: "النبيُّ أولى بكل مؤمن من نفس ذلك المؤمن؛ أي هو أشد ولاية، أي قرباً ... وهو قربٌ معنويٌّ يُراد به آثار القرب من محبةٍ ونصرة. فأَوْلَى اسم تفضيل من الوَلْي وهو القرب، أي أشدّ قرباً، وهذا الاسم يتضمن معنى الأحقّيّة بالشيء ... أي أولى بمنافع المؤمنين أو بمصالح المؤمنين. ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ (الأحزاب: ٦) والمعنى: أولوا الأرحام أولى بإرث ذوي أرحامهم من إرث أصحاب ولاية الإيمان والهجرة بتلك الولاية."[٣]

كما ورد معنى الأولوية في جميع الآيات التي تتحدث عن المفاضلة بين الأشياء والمواقف والأعمال:

- ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣).

---

[١] ابن عاشور، محمد الطاهر. **تفسير التحرير والتنوير**، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م، مج٢، ج٣، ص ٢٧٦.

[٢] المرجع السابق، ج١٦، ص ١٤٨.

[٣] المرجع السابق، ج٢١، ص٢٦٦-٢٧١.

- ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٤).
- ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٥).
- ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ (الحديد: ١٠).

وورد لفظ "أوْلَى" في الحديث الشريف كذلك في مثل قوله ﷺ: "فنحن أحَقُّ وأَوْلَى بموسى منكم،"[٤] وقوله: "أنا أَوْلى الناس بابن مريم، الأنبياء أولاد علاّت، وليس بيني وبينه نبيّ."[٥] ومنه كذلك كل الأحاديث التي ترد فيها صيغ المفاضلة مثل: أيُّ العمل أفضل؟ ثم أيّ؟ أيُّ الإسلام خير؟ أيُّ المسلمين خير؟"... إلخ.

والأمثلة على حضور المفهوم في التراث الإسلامي كثيرةٌ جداً منها: أنّ مقاصد الشريعة تُرتَّبُ على أساس الأولوية إلى: الضروريات والحاجيات والتحسينيات، وأنّ المصالح العامة مقدّمة على المصالح الخاصة، وأنّ درءَ المفاسد أولى من جلب المنافع، إلخ.

فحقيقة الأولوية أنّها: ترتيب الأعمال والمهام الأجدر بالتنفيذ لما لها من قيمة وأهمية أكثر من غيرها، فمن الأعمال ما يلزم أن يسبقَ غيرَه بالضرورة، ومنها ما لا يمكن تأجيلُه لأنَّه ذو طبيعة مهمة ومستعجلة. والإنسان يمكنه أن يمارس ترتيب الأولويات بطريقة عفوية بحكم العادة والإلْف، كما يمكنه أن يمارسها عن وعي وبصيرة، والفرق بين الحالتين كبير.

---

[٤] روى الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسولَ الله ﷺ، قدم المدينة، فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء. فقال لهم رسول الله ﷺ: "ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ فقالوا: هذا يومٌ عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومَه، وغرّق فرعون وقومَه، فصامه موسى شكراً، فنحن نصومُه، فقال رسولُ الله ﷺ: فنحن أحق وأولى بموسى منكم، فصامه رسول الله ﷺ، وأمر بصيامه." انظر:

- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. **صحيح مسلم**، الرياض: دار طِيبَة، ٢٠٠٦م، كتاب: الصيام، باب: صوم يوم عاشوراء، حديث رقم١١٣٠، ص٥٠٤.

[٥] المرجع السابق، كتاب: الفضائل، باب: فضائل عيسى عليه السلام، حديث رقم٢٣٦٥، ص١١١٠.